

التبيان في تفسير القرآن

(93) قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف " ولكن ا قتلهم. ولكن ا رمى " بالتخفيف فيهما ورفع اسم ا فيهما. والباقون بتشديد النون ونصب " ا ". نفى ا ان يكون المؤمنون قتلوا المشركين يوم بدر فقال " فلم تقتلوهم ولكن ا قتلهم " وإنما نفى القتل عمن هو فعله على الحقيقة ونسبه إلى نفسه وليس بفعل له من حيث كانت أفعاله تعالى كالسبب لهذا الفعل، والمؤدي إليه من إقداره إياهم ومعاونته لهم وتشجيع قلوبهم فيه، والقاء الرعب في قلوب أعدائهم المشركين حتى خذلوا وقتلوا على شركهم عقابا لهم. وقوله " وما رميت إذا رميت ولكن ا رمى " مثل الاول في انه نفى الرمي عن النبي (صلى ا عليه وآله) وإن كان هو الرامي وأضافه إلى نفسه من حيث كان بلطفه، وإقداره. وهذه الرمية ذكر جماعة من المفسرين، كابن عباس وغيره: أن النبي (صلى ا عليه وآله) أخذ كفا من الحصاء فرماها في وجوههم، وقال: شأهت الوجوه، فقسمها ا تعالى على ابصارهم، وشغلهم بأنفسهم حتى غلبهم المسلمون، وقتلوهم كل مقتل. وقال بعضهم: ارد بذلك رمي النبي (صلى ا عليه وآله) أبي امية بن الخلف الجمحي يوم احد فأصابه فقتله. وقال آخرون: اراد بذلك رمية سهمه يوم خيبر، فأصاب ابن ابي الحقيق في فراشة رأسه، فقتله. والاول أشهر الاقوال. فأما تعلق من تعلق بذلك من الغلاة، بأن قال: لما قال " ولكن ا رمى " - وكان النبي هو الرامي - دل ذلك على انه هو ا تعالى، فهو جهل وقلة معرفة بوجوه الكلام لانه لو كان على ما قالوه لكان الكلام متناقضا، لانه خطاب للنبي (صلى ا عليه وآله) بأنه لم يرم، فان كان هو ا تعالى فالى من توجه الخطاب؟ وإن توجه اليه الخطاب دل على ان ا غيره. وأيضا فاذا كان هو ا فقد نفى عنه الرمي فاذا أضافه بعد ذلك إلى ا كان متناقضا على انه قد دلت الادلة العقلية على ان ا ليس بجسم، ولا حال في جسم، فبطل قول من قال إن ا كان حل في محمد (صلى ا عليه وآله) وليس هذا موضع نقضه. وقد ذكرنا الكلام في ذلك واستوفينا في الاصول.